

## هس و جيروم

كان الانجيل قد غرس في بوهيميا وتأصلت جذوره منذ القرن التاسع. وقد تُرجم الكتاب المقدس، وكانت العبادة الجهارية تقام بلغة الشعب. ولكن بقدر ما زاد سلطان البابا حجت كلمة الله. ان غريغوريوس السابع الذي آلى على نفسه أن يذل كبرياء الملوك كان يصر على استعباد الشعب ايضا، وتبعاً لذلك اصدر امرا يحرم فيه اقامة العبادة الجهارية باللغة البوهيمية، كما أعلن البابا قائلاً: «لقد سر الكلي القدرة بأن تقام عبادته بلسان غير مفهوم، فان شرورا وهرطقات كثيرة قد ظهرت لعدم مراعاة هذا القانون» (١٨). وهكذا قررت روما أن تطفئ نور كلمة الله وان يظل الشعب سجيناً في الظلام. لكن السماء أعدت وسائل أخرى لحفظ الكنيسة. ان كثيرين من الولدنسيين والالبيجنسيين اذ طردوا من أوطانهم بسبب الاضطهاد الذي وقع في فرنسا وايطاليا أتوا الى بوهيميا. ومع أنهم لم يكونوا يجسرون على التبشير بالكلمة جهارا كانوا يكدون بكل غيرة في الخفاء. وهكذا حفظ الايمان الحقيقي من جيل الى جيل.

قبل أيام هس كان يوجد في بوهيميا رجال قاموا جهارا يوبخون الفساد الذي تفشى في الكنيسة والخلاعة التي عمت بين الناس، فأثار عملهم اهتمام الشعب في كل مكان. وثار مخاوف الكهنة، فوقع الاضطهاد على تلاميذ

الانجيل. واذ طرد هؤلاء الناس ليعبدوا الله في الغابات والجبال طاردهم الجنود وقتلوا كثيرين منهم. وبعد وقت صدر قرار يقضي بحرق كل من يرتد عن العبادة كما قد رسمتها كنيسة روما. ولكن فيما كان المسيحيون يسلمون ارواحهم كانوا ينظرون الى الامام عندما تنتصر دعوتهم. وان واحدا ممن علموا «ان الخلاص هو بالايمان بالمخلص المصلوب وحده» أعلن قبلما أسلم روحه قائلا: «ان اعداء الحق الغاضبين علينا منتصرون علينا الآن، ولكن هذه النصره لن تدوم، فسيقوم واحد من بين عامة الشعب، بلا سيف او سلطان، لن يستطيعوا الانتصار عليه» (١٩)، وكان عصر لوثر لا يزال بعيدا جدا، لكن واحدا كان قد بدأ ينهض، وكانت شهادته ضد روما مزعومة ان تثير الشعوب.

كان جون هس متواضع الأصل، عاش يتيما منذ صباه في كنف أمه التقية التي تعتبر التهذيب ومخافة الله أعظم قيمة من كل الاملاك واجتهدت في احراز هذا الإرث لأبنها. وتعلم هس في احدى مدارس الاقاليم، ثم التحق بجامعة براغ بعدما حصل على منحة مدرسية من أهل الخير. وصحبتة أمه في السفر الى براغ، وكانت أرملة فقيرة. وعندما اقتربا من المدينة العظيمة جثت بجوار ذلك الشاب اليتيم وطلبت من الأب السماوي أن يباركه. ولم تكن تلك الام تعلم كيف ستجاب صلاتها.

في الجامعة امتاز هس على اقرانه بمثابرتة على الدرس ونجاحه السريع المتواصل، بينما اكسبه سلوكه اللطيف الجذاب وحياته المثالية احترام الجميع. وقد كان تابعا مخلصا لكنيسة روما وباحثا مجدا في طلب البركات الروحية التي كانت الكنيسة تدعي منحها للناس. وفي مناسبة اليوبيل تقدم من كرسي الاعتراف، ووهب كل النقود القليلة التي كان يحتفظ بها، وانضم الى الموكب حتى يكون له نصيب في الغفران الموعود به. وبعد إنهاء دراسته في الكلية دخل سلك الكهنوت وبسرعة هائلة بلغ درجة الكردينالية، وسرعان ما اتصل ببلاط الملك. وصار استاذا ثم عميدا للجامعة التي كان قد تلقى علومه فيها، وفي سنوات قليلة صار ذلك الطالب الذي كان يتلقى احسانات أهل الخير فخر بلاده واشتهر اسمه في أوروبا كلها.

## عمل الإصلاح يبتدئ

لكن هس بدأ عمل الإصلاح في حقل آخر، فبعد سنوات قليلة من سيامته كاهناً أقيم واعظاً على كنيسة بيت لحم. وكان مؤسس هذه الكنيسة يؤيد موضوع الكرازة بالكتاب بلغة الشعب ويعتبره من أهم الأمور. وعلى رغم مقاومة روما لهذا الاجراء لم يتوقف التبشير في بوهيميا تماما. لكنّ الجهل بالكتاب المقدس كان فظيحا فتفشيت الرذيلة تبعا لذلك بين كل الطبقات. وقد فضح هس هذه الشرور بلا رحمة مستشهدا بكلمة الله لتعزيز مبادئ الحق والطهارة التي طبعها وغرسها في الأذهان.

وان جيروم، أحد مواطني براغ الذي ارتبط بهس بعد ذلك اوثق ارتباط، كان قد أحضر معه مؤلفات ويكلف عند عودته من إنجلترا. وكانت ملكة إنجلترا التي اعتنقت تعاليم ويكلف أميرة بوهيمية، وبفضل نفوذها انتشرت كتب ذلك المصلح وتداولتها الأيدي في وطنها. وقد قرأ هس هذه الكتب بشغف واهتمام عظيمين واقتنع بأن مؤلفهما مسيحي مخلص، ومال الى قبول الاصلاحات التي دافع عنها. كان هس قد بدأ السير في طريق من شأنه أن يباعد بينه وبين روما، وان كان هو لم يعرف ذلك.

## صورتان تؤثران في هس

قرابة ذلك الوقت وصل الى براغ من إنجلترا اثنان من الغرباء من أرياب العلم، كانا قد حصلا على النور وأتيا الى هذه البلاد القاصية لينشراه فيها. واذ بدأ بهجوم علني على سيادة البابا أسكتتهما السلطات سريعا. ولكن اذ كانا لا يريدان ان يتنحيا عن غرضهما لجآ الى اجراءات أخرى. فبصفتهم فنانيين رسما في ساحة واسعة مكشوفة لجماهير الناس صورتين، أولاهما تمثل دخول المسيح الى اورشليم «وديعا راكبا على

أتان و جحش ابن أتان» (متى ٢١: ٥). ويتبعه تلاميذه وقد بليت ثيابهم من طول السفر، وهم يسرون حفاة. أما الصورة الثانية فقد رسما فيها الموكب البابوي وقد ارتدى البابا أفخر الثياب وأبهى الحلل وعلى رأسه الاكليل المثلث، وامتنى جوادا عليه زينة فخمة، وكان يتقدمه ضاربو الأبواق ويتبعه الكرادلة والاساقفة في حللهم البهية.

كانت هذه عظة استرعت انتباه الناس من كل الطبقات. وقد أتى جماهير الناس لمشاهدة تينك الصورتين، ولم يخف مغزاهما على أحد. وتأثر كثيرون اذ رأوا الفرق الشاسع بين وداعة المسيح وتنازله مع أنه هو السيد، وكبرياء البابا وغطرسته مع أنه يعترف بأنه عبده وخادمه. فحدث كثير من الشغب في براغ. وبعد وقت وجد ذانك الغريبان أنه ينبغي لهما ان يرحلا حرصا على سلامتهما. لكنّ الدرس الذي علماه للشعب لم يُنسَ أبدا. لقد أحدثت الصورتان تأثيرا عظيما في نفس هس، وذلك قاده الى دراسة أكمل للكتاب ولمؤلفات ويكلف. ومع انه لم يكن الى ذلك الحين متأهبا لقبول الاصلاحات التي دافع عنها ويكلف فقد رأى بوضوح أكثر حقيقة البابوية عن كتب، وبغيرة عظيمة شهّر بكبرياء السلطة الكنسية وطموحها وفسادها.

ومن بوهيميا امتد النور الى ألمانيا، لأن الاضطراب الذي حدث في جامعة براغ سبّب انسحاب مئات من الطلبة الالمان. وكان كثيرون منهم قد تلقوا من هس معرفتهم الاولى بالكتاب المقدس، فعند عودتهم بشروا بالانجيل في وطنهم.

وصلت أنباء العمل في براغ الى روما، وسرعان ما استُدعي هس ليمثل أمام البابا. فلو أطاع لكان قد عرض نفسه لموت مؤكد. فلقد اتحد ملك بوهيميا ومملكته مع رجال الجامعة وبعض النبلاء والضباط في تقديم التماس الى البابا حتى يسمح ببقاء هس في براغ وأن تستجوبه روما بواسطة مندوب بابوي. ولكن بدلا من أن يجيهم البابا الى هذا الطلب شرع في محاكمة هس وادانته، وأعلن أن مدينة براغ قد وقعت تحت الحرم البابوي.

## اهتياج في مدينة براغ

في ذلك العصر كان اصدار حكم كهذا كفيلا بأن ينشر الذعر الشامل، والاحتفالات التي تصحب هذا الحكم كانت تثير الرعب في قلوب الشعب الذي كان ينظر الى البابا كنائب لله نفسه وفي يده مفاتيح السماء والجحيم وله السلطان على أن يستنزل الاحكام الزمنية والروحية. وكان الناس يعتقدون أن أبواب السماء تغلق في وجه كل اقليم يقع عليه هذا الحرم، وأنه اذا لم يرض البابا برفع هذا الحكم فان أرواح الموتى تنفى بعيدا من مواطن السعادة. وكعلامة لهذه الكارثة المخيفة أوقفت كل الخدمات الدينية، فأقفلت الكنائس وكان يحتفل بمراسم الزواج في ساحة الكنيسة، ولم يكن يُسمح بدفن الموتى في المدافن المكرّسة بل كانوا يوارون الثرى، من دون اقامة طقوس الدفن، في الخنادق أو الحقول. وهكذا بهذه الاجراءات التي تؤثر في التصورات حاولت روما أن تتحكم في ضمائر الشعب.

عم الشعب مدنية براغ وشهّرت جماعة كبيرة من الناس بهس كسب لكل الكوارث وطالبوا بتسليمه لغضب روما. فلكي يسكّن المصلح العاصفة انسحب مؤقتاً الى مسقط رأسه وكتب إلى أصدقائه الذين تركهم في براغ يقول: «اني اذا كنت قد انسحبت من وسطكم فذلك اطاعة لوصية المسيح واحتذاء لمثاله حتى اعفي ضعفاء العقول من أن يجلبوا على أنفسهم دينونة أبدية، وحتى لا أكون سببا في وقوع حزن أو اضطهاد على الاتقياء. واعتكفت أيضا خوفا من أن يظل الكهنة العديمو التقوى يحرّمون الكرازة بكلمة الله بينكم وقتا أطول، ولكني لم أترككم لكي أنكر الحق الالهي الذي لأجله أنا مستعد بمعونة الله لأن أموت» (٢٠). ولم يكف هس عن مواصلة كفاحه بل سافر مخترقا البلاد المجاورة معلّما الجماهير المتعطشة. وهكذا كانت الاجراءات التي اتخذها البابا لقمع الانجيل سببا في نشره الى مدى أبعد، «لأننا لا نستطيع شيئا ضد الحق بل لأجل الحق» (٢ كورنثوس ١٣ : ٨).

« في هذا الدور من حياة هس كان يبدو أن عقله قد صار مسرحا لكفاح مرير. فمع أن الكنيسة كانت تحاول أن تدمر حياته بصواعقها فهو لم يرفض سلطانها أو يجحده. كان لا يزال يعتبر الكنيسة البابوية عروس المسيح، والبابا ممثلا لها ونائبا عنه. انما الذي كان هس يحاربه هو سوء استخدام السلطة لا المبدأ نفسه. وهذا أثار صراعا مخيفا بين اقتناع عقله ومطالب ضميره، فاذا كانت السلطة عادلة ومعصومة كما كان يعتقد فكيف حدث أنه أحس باضطراره الى عصيانها؟ وقد رأى أن إطاعتها خطية، فكيف تنتهي الطاعة للكنيسة المعصومة الى تلك النهاية؟ تلك كانت المشكلة التي استعصى عليه حلها، وذلك هو الشك الذي عذبه ساعة في أثر ساعة. وأقرب الحلول التي خطرت له هو أن ما حدث قديما في أيام المخلص يحدث هو نفسه الآن مرة أخرى، وهو أن كهنة الكنيسة غدوا اناسا اشرارا يستخدمون سلطانهم المشروعة في أغراض غير مشروعة. هذا قاده الى أن يتخذ لارشاده وارشاد من يبشرهم المبدأ المقرر وهو أن وصايا الكتاب التي نقلت عن طريق الفهم هي التي ينبغي أن تسود على الضمير وتتحكم فيه، وبمعنى آخر أن الله الذي يتكلم في الكتاب، لا الكنيسة التي تتكلم بواسطة الكهنة، هو المرشد الذي لا يخطئ » (٢١).

## جيروم ينضم الى هس

فلما خفت شدة الاهتياج في براغ بعد وقت عاد هس الى كنيسته المسماة بيت لحم ليواصل الكرازة بكلمة الله بغيرة وشجاعة عظيمتين. كان اعداؤه نشيطين وأقوياء، لكنّ الملكة وكثيرين من النبلاء وقفوا الى جانبه. وكثيرون اذ قارنوا بين تعاليمه النقية المثقفة المنعشة وحياته المقدسة من جهة، والمبادئ المنحطة الحقيرة التي كان ينشرها البابويون، والجشع والدعارة والفجور التي كانوا يرتكبونها من جهة اخرى، اعتبروا الانحياز اليه شرفا عظيما.

كان هس قد وقف وحده في عمله وكفاحه حتى ذلك الحين، غير أن جيروم، الذي كان قد اعتنق تعاليم ويكلف وهو في إنجلترا، انضم إليه في عمل الإصلاح. واتحد الاثنان بعد ذلك في حياتهما، ولم يفترقا في موتهما. كان جيروم متألق الذكاء ذا فصاحة وعلم غزير، وقد احرز نصيبا كبيرا في تلك المواهب التي تظفر برضى الشعب واستحسانه، لكن هس كان متفوقا عليه في الصفات التي تحدد قوة الخلق الحقيقية، فكانت افكاره الهادئة ورأيه الصائب رادعا لروح جيروم المتحفزة الوثابة، وهذا الاخير عرف بتواضع حقيقي قدر هس وخضع لمشوراته، وبفضل جهودهما المتحددة انتشر الإصلاح بسرعة عظيمة.

لقد جعل الله نوراً عظيماً يشرق على عقلي هذين الرجلين المختارين، فكشف لهما الشيء الكثير من ضلالات روما، ولكنهما لم يحصلوا على كل النور الذي كان مزمعا أن يعطى للعالم. كان الله عن طريق خادميه هذين يخرج الشعب من ظلمات البابوية، ولكن كان لا بد لهما من مواجهة عقبات ومعطلات كثيرة وعظيمة، وقد قادهما الله خطوة فخطوة على قدر احتمالهما. انهما لم يكونا مستعدين لقبول كل النور دفعة واحدة. فلو قدم اليهما النور في ملء قوته مثل نور الشمس في وقت الظهيرة الى قوم عاشوا طويلا في الظلام، فليما كانا يرتدان راجعين. ولذلك كشف الله النور لهذين القائدين قليلا قليلا بمقدار ما يستطيع الشعب تقبله. ومن جيل الى جيل كان على العاملين الآخرين أن يسيروا متتبعين هذا الطريق وأن يقودوا الشعب الى الأمام في طريق الإصلاح.

ظل الانشقاق متفشيا في الكنيسة. فكان هنالك ثلاثة باباوات يتنازعون السيادة، وامتلات ربوع العالم المسيحي بالجرائم والشغب تبعاً لتلك المشاغبات والمنازعات. واذ لم يكتف كل منهم بقذف الحرم في وجه الآخرين لجأ الى الأسلحة المادية، فبذل المال لشراء الأسلحة وحشد الجيوش. وكان الثلاثة يحتاجون الى المال بطبيعة الحال، فلكي يحصلوا عليه عرضت هبات الكنيسة ووظائفها وبركاتها للبيع (انظر التذييل). وتمثل الكهنة برؤسائهم فلجأوا الى السيمونية والحرب لاذلال منافسيهم وتقوية سلطانهم هم. أما هس فكان

كل يوم يزيد بسالة ويرعد بكلامه ضد الرجاسات التي كانت الكنيسة تغضي عنها وتتساهل معها باسم الدين، وكان الناس يتهمون قادة كنيسة روما جهارا بأنهم علة كل الشقاء الذي غمر العالم المسيحي.

ومرة أخرى بدا كأن مدينة براغ على وشك الاشتباك في حرب دامية. وكما كانت الحال في العصور القديمة أتهم خادم الرب بأنه «مكدر اسرائيل» (١ ملوك ١٨: ١٧). ومرة أخرى وقعت المدينة تحت الحرم البابوي فانسحب هس راجعا الى قريته. وانتهت شهادته الأمانة التي كان يؤديها في كنيسة المسماة بيت لحم، وكان عليه أن يتكلم في مجال أوسع لكل العالم المسيحي قبل أن يبذل حياته كشاهد للحق.

ولأجل معالجة المساوئ والشور التي أذهلت أوروبا وأربكتها استدعي مجمع عام للانعقاد في كونستانس. وقد دُعي المجلس بناء على رغبة الامبراطور سجسموند بواسطة أحد الباباوات الثلاثة المتنافسين هو يوحنا الثالث والعشرون. لكن هذا البابا المدعو يوحنا لم يكن في الحقيقة يرحب باستدعاء المجلس لأن أخلاقه وسياسته لم تكن تحتل الفحص والامتحان حتى على أيدي الأساقفة الذين كانوا متهاونين في تصرفاتهم الأخلاقية كأعضاء الكنائس في تلك الايام. ومع ذلك فهو لم يكن يجرؤ على مقاومة ارادة سجسموند (انظر التذييل).

وكان من أهم الأغراض التي كان على المجمع انجازها معالجة الانشقاق الحادث في الكنيسة واستئصال الهرطقة. ولأجل هذا دعي البابوان الآخران المتنازعان للمثول أمام المجمع، وكذلك المروج الأكبر للآراء الجديدة أي جون هس. أما ذاك البابوان فاذا كانا يحرضان على سلامتهما لم يذهبا بنفسهما بل أنابا عنهما ممثلين موفدين من قبلهما. وأما البابا يوحنا الذي كان حسب الظاهر هو الداعي الي ذلك الاجتماع فقد حضر لكن الهواجس كانت تساوره اذ كان يشك في نيات الامبراطور ويخشى ان يخلعه ويحاسبه على الرذائل التي جلبت العار على تاجه البابوي وعلى كل الجرائم التي ارتكبها للوصول الى ذلك

المركز. ومع ذلك فقد دخل مدينة كونستانس بأبهة عظيمة يحف به رجال الإكليروس من أعلى الرتب ويتبعه جمع كبير من الندماء. وخرج كل رجال الاكليروس في المدينة ورؤساؤها وجمع غفير من المواطنين للترحيب به. وكانت فوق رأسه مظلة من ذهب يحملها أربعة من عظماء الحكام. وقد حُمل القربان المقدس أمامه، كما حضر الكرادلة والنبلاء في حللهم البهية في عرض مهيب.

وفي أثناء ذلك كان هنالك مسافر آخر يقترب من مدينة كونستانس. كان هس يحس بالمخاطر التي تتهدده وقد ودع اصدقاءه كما لو أنه لن يلتقيهم مرة أخرى، وسار في رحلته وهو شاعر بأن نهايته ستكون الموت حرقا بالنار. وعلى الرغم من أنه كان قد حصل على صك الأمان من ملك بوهيميا كما حصل على صك آخر من الامبراطور سجسموند فقد عمل ترتيبه على أنه قد يموت.

## تساهل من جانب الملك

وفي رسالة بعث بها الى أصدقائه في براغ قال: «يا اخوتي... اني مسافر وبيدي صك أمان من الملك لمواجهة اعدائي الكثيرين القتلة... ولكني واثق ثقة كاملة بالله القدير وبمخلصي، وأنا أثق بأنه سيصغي الى صلواتكم الحارة وأنه سيسكب حكمته في فمي حتى أقاومهم، وأنه سيمنحني روحه القدوس ليحصنني بحقه حتى أستطيع أن أجابه بكل شجاعة التجارب والسجن، بل الموت القاسي ان لزم الامر. لقد تألم يسوع المسيح لأجل احبائه فهل نستغرب أنه قد ترك لنا مثالا حتى نحتمل بصبر كل شيء لأجل خلاصنا، انه الله ونحن خلائقه، وهو الرب ونحن عبيده، وهو سيد العالم أما نحن فبشر محتقرون، ومع ذلك فقد تألم! فلماذا اذاً لا نتألم نحن، لا سيما ان الآلام هي لتطهيرنا؟ فيا احبائي، اذا كان موتي يؤول الى مجده فصلوا حتى يجيء سريعا وحتى احتمل كل البلايا بصبر وثبات. أما اذا كان من الأفضل أن أعود اليكم فصلوا حتى أعود من دون أن أثلوث، أي حتى لا أكتم حرفا واحدا من حق الانجيل وحتى أترك لاختوتي



محاكمة هس و استشهاده

مثالا فاضلا نبيلًا يتبعونه. وهكذا فمن المرجح أنكم لن تروا وجهي في براغ بعد الآن، أما إذا تعطّفت ارادة الله القدير باعادتي اليكم فلنسر قدما في عملنا ونحن أثبت قلبا في معرفة شريعته ومحبتها» (٢٢).

وفي رسالة أخرى أرسلها الى كاهن كان قد صار تلميذا للانجيل تكلم هس باتضاع عميق عن أخطائه متهما نفسه بأنه «كان يحس بالسرور عندما يرتدي الملابس الفاخرة، وانه كان يقتل الساعات في ممارسات تافهة». ثم أضاف الى ما سبق هذه التحذيرات المؤثرة: «ليت مجد الله وخلص النفوس يشغلان عقلك وليس امتلاك هبات الناس أو الاملاك أو العقارات. حاذر من تزيين بيتك أكثر من تزيين نفسك، وفوق كل شيء وجه كل اهتمامك وعنايتك الى البناء الروحي. كن تقيا ومتواضعا مع الفقراء ولا تنفق أموالك في الاكل والشرب وإقامة الولائم. فاذا لم تصلح حياتك وتكف عن الافراط في تمتعاتك فأنا اخشى انك ستقع تحت طائلة التأديب القاسي كما هو الحال معي... أنت تعرف عقيدتي لأنك منذ طفولتك تلقيت تعاليمي، ولذلك فلا جدوى في أن اكتب لك أكثر من هذا. ولكني اناشدك برحمة الرب الا تتمثل بي في أي من الأباطيل التي رأيتني أسقط فيها». وعلى غلاف الرسالة أضاف قائلا: «أناشدك يا صديقي الا تفضّ هذه الرسالة حتى يتأكد لك بما لا يحتمل الشك أنني قد مُت» (٢٣).

## القبض على المصلح

وفي أثناء الرحلة رأى هس دلائل على انتشار تعاليمه في كل مكان وقبول الناس دعوته قبولا حسنا، فقد تجمهر الناس لمقابلته، وفي بعض المدن كان الحكام يتبعونه في الشوارع.

عند وصول هس الى كونستانس مُنح حرية كاملة. وأضيف الى صك الامان الممنوح له من الامبراطور تأكيد شخصي بحراسة البابا له. ولكن على رغم ذلك فكل تلك العهود والتأكيدات المقدسة المتكررة قد انتهكت ونقضت اذ اعتقل بعد وقت قصير بأمر البابا والكرادلة وألقي به في جب كرية الرائحة. وبعد ذلك نُقل

الى قلعة منيعة عبر الرين وحُفظ اسيرا فيها. أما البابا الذي لم يستفد من غدره فقد ألقى به هو نفسه بعد ذلك بوقت قصير في السجن ذاته (٢٤) بعدما تأكد للمجمع أنه قد ارتكب أحط الجرائم، فضلاً عن القتل والسيمونية والزنا، «خطايا ذكرها أيضا قبيح»، على حد قول المجمع. وأخيراً جُرد من تاج البابوية وطرح في السجن. والبابوان الآخرون المتنافسان خُلعوا، واختير بابا جديد.

ومع أن البابا نفسه كان مرتكباً جرائم اعظم من تلك التي أتهم بها هس الكهنة وبسببها طالب بالاصلاح، فان المجمع عينه الذي جرد البابا من رتبته تقدم ليسحق المصلح. ولقد أثار خبر اعتقال هس سخطا عظيما في بوهيميا، فقدم بعض الأمراء الأقوياء احتجاجات شديدة ضد هذا الاعتداء. والامبراطور الذي كان يرفض السماح بانتهاك صك الامان قاوم الاجراءات التي اتخذت ضد هس. لكن اعداء المصلح كانوا خبيثاء وأصروا على تنفيذ أغراضهم. وقد لجأوا الى تعصب الامبراطور ومخاوفه وغيرته على الكنيسة. وقدموا حججا مطولة يبرهنون بها أن «الايمان ينبغي الا يُحفظ لدى الهرطقة أو من يشتبه بأنهم هرطقة حتى ولو كانت في أيديهم صكوك أمان من الامبراطور أو الملوك» (٢٥). وهكذا انتصروا.

ومع أن هس كان في منتهى الاعياء والضعف من أثر المرض الذي أصابه في السجن — لأن الهواء الرطب المتعفن والأبخرة الكريهة التي كانت تنبعث من سجنه المحتبس الهواء أصابته بحمى كادت تقضي على حياته — فقد أتى به أخيراً ليمثل أمام المجلس. فوقف موثقاً بالأصفاة الثقيلة في حضرة الامبراطور الذي كان قد تعهد بحمايته. وفي أثناء المحاكمة الطويلة ظل متمسكا بايمانه بكل قوة وثبات. وأمام أبحار الكنيسة ورجال الدولة المجتمعين نطق باحتجاج مقدس أمين ضد فساد رجال الكهنوت. وعندما طُلب منه أن يختار بين أن ينكر عقائده أو يُحكم عليه بالموت فقد قبل أن يموت شهيدا.

## نعمة الله تسنده

وقد سندته نعمة الله. ففي خلال أسابيع الآلام التي مرت قبل الحكم النهائي عليه امتلأت نفسه بسلام السماء. فكتب الى أحد أصدقائه يقول: «اني أكتب هذه الرسالة من سجنني وأنا موثق اليدين أتوقع حكم الموت عليّ غدا... فعندما نجتمع معا مرة أخرى بمساعدة يسوع في حياة الخلود حيث السلام المفرح السعيد فستعلم كم كان الرب رحيمًا حيالي، وكيف سندني بقوته العظيمة في وسط تجاربي وآلامي» (٢٦).

## يأبى أن يتراجع

وفي ظلام سجنه رأى بعين الايمان نصره الايمان الحقيقي. واذ عاد بأفكاره وأحلامه الى الكنيسة في براغ حيث كرز بالانجيل رأى البابا وأساقفته وقد محوا صور المسيح وطمسوا معالمها التي كان هو قد رسمها على الجدران. « وقد أزعجته هذه الرؤيا وأفزعته. ولكنه رأى في اليوم التالي كثيرين من الرسامين عاكفين على اعادة رسم تلك الصور. وقد زاد عددها واشتد لمعان الوانها. وعندما انتهى أولئك الفنانون من رسم تلك الصور وقد احتشد حولهم جمع كثير صاحوا قائلين: ليات الآن البابوات والأساقفة، انهم مهما جاهدوا لن يستطيعوا أن يطمسوا هذه الصور بعد الآن ! ». وقال ذلك المصلح وهو يقص حلمه: « اني متأكد من هذا أن صورة المسيح لن تطمس ابدًا. لقد كانوا يتمنون ملامحتها، لكنّها ستُرسَم من جديد في كل القلوب بواسطة مبشرين أفضل مني » (٢٧).

أوقف هس أمام المجمع للمرة الأخيرة، وكان الاجتماع حافلا بشخصيات شهيرة. كان هناك الامبراطور وأمراء الامبراطورية والكرادلة والأساقفة والكهنة، وجمع غفير من الناس الذين أتوا لمشاهدة أحداث ذلك اليوم، وكان كثيرون من

أنحاء بلدان العالم المسيحي قد اجتمعوا ليكونوا شهودا على أول ضحية عظيمة في الصراع الطويل الذي كان سيتقرر فيه مبدأ حرية الضمير وحرية العبادة.

واذ كان هس قد استُدعي ليذلي بقراره النهائي أعلن أنه يرفض انكار تعاليمه. وثبت نظره الثاقب على الملك الذي انتهك على نحو مشين عهده له وأعلن قائلاً: « لقد عزمت بمحض اختياري أن أمثل أمام المجلس تحت حماية الملك الحاضر هنا الان وبناء على وعده لي بالأمان » (٢٨)، فاحمر وجه سجسموند خجلاً عندما اتجهت إليه انظار كل الحاضرين.

وبعد النطق بالحكم بدأت اجراءات تجريده من رتبته الكهنوتية. وقد ألبس الأساقفة اسيرهم الزي الكهنوتي، فقال معلقاً: « ان ربنا يسوع المسيح ألبس رداء أبيض بقصد اهانتته عندما أمر هيروودس بأخذه الى بيلاطس » (٢٩). وعندما أمر مرة أخرى بأن يتراجع عن تعاليمه التفت الى الشعب ثم أجاب قائلاً: « اذاً بأي وجه أشاهد السموات؟ وكيف أنظر الى جموع الناس الذين قد بشرتهم بالانجيل الطاهر؟ كلا فأنا أقدر خلاصهم أكثر مما أقدر هذا الجسد الفاني المحكوم عليه بالموت». وقد جرد من ملابسه الكهنوتية قطعة بعد أخرى، وكلما قام أسقف بدوره في الاحتفال كان ينطق على هس باللعنة. وأخيراً وضعوا على رأسه اكليلا من الورق هرمي الشكل رُسمت عليه صور مخيفة للبالسة وقد كُتبت عليه كلمة «كبير الهرطقة» في مكان ظاهر فوق جبينه. فقال هس: « انني بفرح عظيم ألبس اكليل العار هذا لأجلك يا يسوع، أنت الذي من أجلي قد ألبست اكليلا من الشوك».

بعد ذلك وقف الأساقفة روحه للشيطان. أما جون هس فرفع عينيه نحو السماء وقال: «أما أنا ففي يديك استودع روحي أبها الرب يسوع لأنك قد فديتنني» (٣٠).

## يموت على آلة الاعدام

ثم أسلم الى أيدي السلطات المدنية فافتادوه الى مكان الاعدام وتبعه موكب عظيم، مئات من الرجال المسلحين، والكهنة والأساقفة في حللهم الغالية الثمن، وسكان مدينة كونستانس. وعندما أُوثِق الى آلة الاعدام وكان كل شيء معداً لإشعال النار انذر ذلك الشهيد مرة أخيرة لينقذ نفسه بانكار ضلالاته وجحدها. فقال هس: «أيّ ضلالات أجحدها أو أرفضها؟ أنا أعلم أنني لم أخطئ في شيء ولا ارتكبت جرماً. اني أشهد الله على أن كل ما كتبته وما كررت به كان القصد منه إنقاذ النفوس من الخطيئة والهلاك. ولذلك فاني بكل سرور أثبت بدمي ما قد كتبته وبشرت به» (٣١). وعندما أضمرت النار من حوله أبتدأ يترنم قائلاً: «يا يسوع ابن داود ارحمني». وظل يفعل ذلك الى أن أسكت صوته الى الأبد.

ادهشت هذه البطولة وقوة الاحتمال اعداءه أنفسهم فقال أحد البابويين الغيورين وهو يصف استشهاد هس ثم استشهاد جيروم الذي مات بعد ذلك بقليل: «احتمل كلاهما بعزم راسخ وعقل ثابت دنو ساعتها الأخيرة. لقد استعدا للذهاب الى النيران كما لو كانا ذاهبين الى وليمة عرس. ولم ينطقا بما يعبر عن الألم. وعندما اندلعت السنة للهب وامتدت نحوهما بدأ يترنمان ويسبحان ولم تستطع النار المتوهجة أن توقفهما عن التسبيح» (٣٢).

بعدهما احترق جسد هس كله جُمع رماده والتراب الذي كان تحته وألقي به في نهر الرين وهكذا حُمِلت بقاياها الى الاقيانوس. وعبثاً تصور مضطهدوه أنهم قد استأصلوا المبادئ التي كرز بها. ولم يكونوا يتصورون أن ذلك الرماد الذي ألقوا به في البحر في ذلك اليوم كان مزمعا أن يكون كبذار يزرع في كل ممالك الأرض، وفي بلدان لم تُكتشف بعد، وسيأتي بثمر كثير في قيام شهود كثيرين للحق. كان لذلك الصوت الذي رن في جوانب مجمع كونستانس صدى سيسمع في كل

العصور اللاحقة. نعم ان هس قد مات وزال من الوجود، لكنّ الحقائق التي مات في سبيل اثباتها لا يمكن ان تندثر. ان مثال الايمان والجلد الذي أبداه كان من شأنه أن يشجع جماهير من الناس على الثبات في جانب الحق في مواجهة العذاب والموت. لقد برهن اعدام هس على قسوة روما وغدرها. إن أعداء هس بعملهم هذا إنما كانوا يناصرون ويروجون الحق الذي عبثاً حاولوا ملامشاته، وان كانوا لا يدرون.

## جيروم يصل الى كونستانس

ومع ذلك فقد كانت ستقام آلة التعذيب مرة أخرى في كونستانس، ودم شاهد آخر كان و شيكا أن يراق لأجل الحق. ان جيروم وهو يودع هس عند رحيله للمثول أمام المجمع جعل يحته على الشجاعة والثبات معلنا له أنه اذا وقع في أي خطر فسيهب لنجدته، فحالما علم أن صديقه المصلح قد طُرح في السجن تأهب ذلك التلميذ الأمين في الحال لانجاز وعده. ومن دون أن يحصل على صك أمان بدأ رحلته الى كونستانس ومعه رفيق واحد. ولدى وصوله الى هناك اقتنع بأنه انما قد عرض نفسه للخطر من دون أن يتمكن من عمل شيء لانقاذ هس. فهرب من المدينة. ولكن فيما كان عائدا الى وطنه قُبض عليه وأعيد مكبلا بالقيود وتحت حراسة فرقة من الجنود. وعندما وقف أمام المجمع أول مرة كانت اجابته على التهم الموجهة ضده تقابل بصرخات قائلة: «أطرحوه في النار، ألقوا به في اللهب!» (٣٣). وقد طُرح في سجن مظلم وأوثق بالقيود، وكان في وضع سبب له ألما مبرحة، وكان طعامه الخبز والماء. وبعد بضعة شهور سببت له آلام السجن مرضا كاد يقضي عليه، فاذا خاف أعداؤه ان يفلت منهم عاملوه بقسوة أقل مع أنه ظل سجيناً عاما كاملا.

## جيروم يمثل أمام المجمع

كانت لموت هس نتائج غير ما كان يرجوه البابويون. فنقض صك الامان آثار عاصفة شديدة من السخط، لذلك ارتأى المجمع أنه بدلا من حرق جيروم يستحسن ارغامه على التراجع ان كان ذلك في الامكان. فأتي به أمام المجلس وعُرض عليه ان يختار إما أن ينكر تعاليمه وايمانه واما أن يحرق بالنار. ان موت جيروم عند بدء إلقائه في السجن كان يمكن أن يكون رحمة بالمقارنة مع العذابات الهائلة التي احتملها، أما الآن، وقد أضعفه المرض والألام التي قاساها في السجن وعذاب الجزع والقلق وهو بعيد من اصدقائه وانهيأ قواه بعد موت هس، فقد خارت قوة احتماله وخذله جلده فرضي بالخضوع للمجمع. وتعهد بأن يتمسك بالعقيدة الكاثوليكية وقبل قرار المجمع الذي أدان تعاليمه ويكلف وهس، باستثناء «الحقائق المقدسة» التي علّمها بها (٣٤).

وبهذه الوسيلة حاول جيروم اسكات ضميره والنجاة من حكم الموت. لكنه اذ كان منفردا في سجنه اتضح له جسامته ما فعل. تذكر شجاعة هس وولاءه، وعلى نقيض ذلك تأمل في تنكره للحق ولمعلمه الالهي الذي كان قد تعهد خدمته والذي إحتمل لأجله موت الصليب. كان قبل تراجعهم يجد العزاء في وسط آلامه اذ كان واثقا من رضى الله، أما الآن فقد تعذبت نفسه من فرط الندم وصارت نهبا للشكوك. وعرف أنه لا بد له من أن يتراجع وينكر أشياء كثيرة قبل أن يتصالح مع روما. والطريق الذي بدأ يسير فيه كان ينتهي حتما الى الارتداد التام. ولذلك فقد عزم على أمر وهو أنه ينبغي له ألا ينكر سيده لكي ينجو من آلام قصيرة الامد.

وسرعان ما أتي به ثانية ليمثل أمام المجمع. فلم يكن خضوعه كافيا لاقناع قضاة. وتعطشهم لسفك الدم الذي قد أهاجه موت هس ألح في طلب ضحايا جديدة. ولم يكن متاحا الابقاء على حياة جيروم الا باستسلام الحق من غير

تحفظ. ولكنه كان قد عقد العزم على المجاهرة بايمانه واتباع مثال أخيه الشهيد ولو طرح في النار.

وقد تبرأ من انكاره السابق، وكإنسان مائت طلب بكل خشوع فرصة يقدم فيها دفاعه. واذ كان الاساقفة يخافون تأثير أقواله أصروا على أنه يجب إما أن يصادق على صحة التهم الموجهة اليه واما ان ينكرها. فاحتج جيروم على تلك القسوة وذلك الظلم قائلا: «لقد ابقيتموني سجيناً ٣٤٠ يوماً في سجن رهيب، وكنت محاطاً بالاقذار والوخامة والروائح الكريهة. وكنت في عوز الى كل شيء، ثم توقفوني امامكم وتميلون آذانكم لسماع أقوال اعدائي القساة ثم وترفضون سماع أقوالي... فاذا كنتم حقا رجالا حكماء وانوار العالم فاحترسوا لئلا تأثموا في حق العدالة. أما أنا فلست الا إنسانا ضعيفا، وحياتي ليست بذات أهمية، وعندما أحذركم من النطق بحكم جائر فاني أراعي مصلحتكم أكثر مما أراعي مصلحتي» (٣٥).

أخيرا أحيب الى طلبه، وأمام القضاة جثا جيروم وصى طالبا من روح الله أن يضبط أفكاره وأقواله حتى لا يتكلم كلاما مناقضا للحق أو غير جدير بكرامة سيده. وقد تم له وعد الرب للتلاميذ الاولين اذ قال لهم يسوع: «وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي... فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم» (متى ١٠: ١٨ - ٢٠).

## دفاعه الجريء

أثار كلام جيروم الدهشة والاعجاب حتى في نفوس أعدائه. لقد ظل عاما كاملا محبوسا في سجن مظلم وهو عاجز عن أن يقرأ أو حتى يرى شيئا، عرضة لآلام جسمية مبرحة وجزع عقلي. ومع ذلك فقد قدم حججه بوضوح وقوة عظيمين كما لو كان اشبعها درسا. ووجه أفكار سامعيه الى الصف الطويل من الرجال القديسين الذين دانهم قضاة ظالمون. ففي كل جيل تقريبا وجد أناس

كانوا يحاولون أن يرفعوا من شأن أمتهم ومع ذلك فقد عُيروا وطُردوا، ولكن بعد ذلك بزمّن طويل اتضح أنهم جديرون بالكرامة. والمسيح نفسه حُكم عليه كفاعل شر أمام محكمة ظالمة.

ان جيروم عندما تخاذل من قبل بدا كأنه صادق على عدالة الحكم بادانة هس، أما الآن فقد جاهر بأنه نادم على ما قال وشهد ببراءة ذلك الشهيد وقداسته فقال: «لقد عرفته منذ طفولته. وقد كان رجلا فاضلا وعادلا وقديسا، وحُكم عليه بالموت على رغم براءته... وأنا أيضا مستعد للموت ولن انكص أو أنكمش أمام العذابات التي قد أعدها لي أعدائي وشهود الزور الذين سيقدمون حسابا يوما ما عن ادعاءاتهم أمام الله العظيم الذي لا يمكن أن يُخدع» (٣٦).

وجعل جيروم يلوم نفسه على انكاره الحق، فاستأنف كلامه قائلا: «من بين كل الخطايا التي قد ارتكبتها منذ شبابي لا توجد خطية تضغط بثقلها على وجداني وتسبب لي ندامة أليمة كهذه الخطيئة التي ارتكبتها في هذا المكان المشؤوم عندما وافقت على الحكم الجائر ضد ويلكف وجون هس، الشهيد القديس معلمي وصديقي. نعم! اني أعترف من أعماق قلبي وأعلن برعب عظيم أنني قد جنت جينا مشينا عندما حكمت ظلما على تعاليمهما مدفوعا بدافع الخوف من الموت. لأجل ذلك أنا أتوسل... الى الله القدير أن يتعطف عليّ ويغفر خطاياي وعلى الخصوص هذه الخطيئة التي هي أفظعها جميعا. «ثم أشار الى قضاته وقال لهم بكل ثبات: «لقد حكمتم على ويكلف وعلى جون هس لا لانهما زعزعا عقيدة الكنيسة بل لأنهما وصما بوصمة العار الفضائح التي ارتكبتها رجال الاكليروس: ترفعهم وتنعمهم وكبرياءهم وكل رذائل الاساقفة والكهنة. فما أگداه من الحقائق التي لا تنقض أجاريهما فيه وأعلن ما قد أعلنه».

قوطعت أقواله، وأرتجف الأساقفة من شدة الحنق والسخط وصاحوا قائلين: «ما حاجتنا بعد كل هذا الى برهان جديد؟ ها نحن نرى بعيوننا أشد الهراطقة عنادا ماثلا أمامنا؟»

فاذ لم تكن تلك العاصفة لتؤثر فيه صاح جيروم قائلا: «ماذا! أتظنون أنني أخاف الموت؟ لقد حبستموني سنة كاملة في سجن مخيف هو أرهب من الموت نفسه. ولقد قسوتم في معاملتي اكثر مما لو كنت تركيا أو يهوديا أو وثنيا. ولقد بلي لحمي بالمعنى الحرفي وتساقط عن عظامي وأنا على قيد الحياة. مع ذلك فأنا لا أشكو لان النوح والعيول غير لائقين برجل ذي قلب وروح. ولكن لا يسعني الا ان أبدي دهشتي من مثل هذه الوحشية التي بها تعاملون انسانا مسيحيا» (٣٧).

## يساق الى السجن والموت

ومرة أخرى ثارت عاصفة الغضب ثم أسرعوا باعادة جيروم الى السجن. ومع ذلك فلقد كان بين اولئك المجتمعين قوم تأثروا من كلامه تأثرا عميقا فحاولوا انقاذه. وقد زاره بعض أهباء الكنيسة الذين الحوا عليه في الخضوع للمجمع. وقدمت أعذب الأمانى وأحلاها جزاء له على تنازله عن مقاومة روما. ولكن كما تصرّف معلمه عندما أهدي اليه مجد العالم ظل جيروم ثابتا.

قال لهم: «برهنوا لي من الكتب المقدسة على أنني مخطئ وأنا أجد ما قد صرحت به».

فصاح أحد الذين جاؤوا يجربونه قائلا: «هل الكتب المقدسة هي اذاً ما يجب أن يقاس به كل أمر؟ من ذا الذي يستطيع أن يفهمها قبل أن تفسرها الكنيسة؟».

أجاب جيروم قائلا: «وهل تعاليم الناس أحق بالايمان من انجيل مخلصنا؟ ان بولس لم يوص من كتب اليهم بأن يصغوا الى تقاليد الناس بل قال: فتشوا الكتب».

فجاءه الجواب يقول: «أيها الهرطوقي! اني نادم لأنني تحاججت معك هذا الوقت الطويل. وأنا أرى أنك مسوق بقوة الشيطان» (٣٨).

وبعد قليل صدر حكم الادانة عليه فأخذه الى المكان نفسه الذي فيه أسلم هس روحه. فاذا كان سائرا الى ساحة الموت كان يسبح الله، وقد أشرق على محياه نور الفرح والسلام. وثبت نظره في المسيح، وما عاد الموت مرعبا في نظره. وعندما خطا الجلاد من خلفه وهو موشك أن يشعل النار صاح الشهيد قائلا: «تقدم الى الأمام بشجاعة وأشعل النار أمام وجهي. فلو كنت خائفا لما أتيت الى هنا».

وكان آخر ما قاله عندما أشعلت النار وأمتدت اليه السنة اللهب صلاة قال فيها: «يا ربي وأبي القدير أرحمني وأغفر خطاياي لأنك تعلم أنني قد أحببت حقك دائما» (٣٩). وبعد ذلك ما عاد صوته يُسمع إنما كانت شفاته تتحركان بالصلاة. وعندما أتت عليه النار جمع رماده والتراب الذي كان تحته والقي في نهر الرين كما قد حدث لهس.

وهكذا مات ذاك الرجلان الأمينان حاملا نور الله. لكن نور الحق الذي أعلنه، نور مثالهما وبطولتهما، لا يمكن اخفاؤه. فاذا كان يسهل على الناس أن يرجعوا الشمس في مسيرها فانهم يستطيعون أن يحولوا دون بزوغ نور ذلك النهار الذي بدأ منذ ذلك الحين ينفجر مشرقا على العالم.

## الحرب في بوهيميا

كان اعدام هس قد اضرم نار غضب ورعب عظيم في بوهيميا. لقد أحست الأمة كلها أنه سقط فريسة حقد الكهنة وغدر الامبراطور. وقد أعلن انه كان معلما أميناً للحق، وأنهم المجمع الذي حكم بموته بارتكاب جريمة قتل. لكن تعاليمه اجتذبت اهتماما أعظم من كل ما حدث من قبل. وبناء على مراسيم أصدرها البابا كان حكم بحرق مؤلفات ويكلف، لكن المؤلفات التي هُربت ونجت من النار أخرجت من مخابئها ودرست مع الكتاب المقدس أو بعض اجزائه التي استطاع الناس الحصول عليها، وكثيرون اعتنقوا الايمان المصلح.

لكن قاتلي هس لم يستطيعوا أن يقفوا هادئين مكتوفي الأيدي وهم يرون انتصار دعوته. لقد اتحد البابا مع الامبراطور على سحق تلك الحركة فهجمت جيوش سجموند على بوهيميا.

لكن الرب أقام مخلصا يدعى زسكا، أصيب بالعمى عند بدء الحرب ومع ذلك كان من أقدر قواد عصره. وقد صار قائدا لجيش بوهيميا. فاذا استند ذلك الشعب الى معونة الله وعدالة قضيتهم ثبتوا أمام أقوى الجيوش التي جردت ضدهم، ومرارا وتكرارا عبأ الامبراطور جيوشا جديدة وغزا بوهيميا، وفي كل مرة كان يُصد صدا مشينا. كان أتباع هس قد ارتفعوا فوق مستوى الخوف من الموت، فلم يستطع أي جيش ان يصمد أمامهم. وبعد بدء الحرب بسنين قليلة مات زسكا الشجاع فخلفه بروكوبيوس وكان مثله قائدا شجاعا محنكا، بل كان أقدر منه في بعض النواحي.

واذ علم أعداء شعب بوهيميا أن قائدهم الأعمى مات ظنوا أن الفرصة مؤاتية لاسترداد كل ما خسروه. حينئذ أعلن البابا حربا صليبية ضد أتباع هس، ومرة أخرى جرد جيش على بوهيميا فمُني بهزيمة ساحقة. ثم أعلن عن تجريد حملة أخرى وجمع من كل الممالك الخاضعة لسلطان البابا في أوروبا الرجال والأموال والذخيرة الحربية. وتقاطرت جماهير كثيرة من الرجال واحتشدوا تحت راية البابا وهم واثقون انهم في النهاية سيقطعون دابر أتباع هس الهرطقة. اقترب الجيشان ولم يكن يفصل واحدهما عن الآخر غير نهر. «كان الصليبيون يفوقون أعداءهم عدداً وقوة ولكن بدلا من أن يعبروا النهر ويهجموا عليهم وقفوا يرنون صامتين الى اولئك المحاربين» (٤٠)، حينئذ وقع على جيش الغزاة رعب غامض، ومن دون أن يضربوا ضربة واحدة انكسر ذلك الجيش العظيم وتشتت شملهم كما لو أن قوة غير منظورة طردتهم. وقتل جيش هس عددا كبيرا منهم، ثم طاردوا الهاربين ووقعت في أيدي اولئك المنتصرين غنائم كثيرة، حتى أن الحرب لم تؤد بهم الى الفقر بل اغنتهم غنى جزيلًا.

وبعد سنين قليلة قام بابا جديد وجرّد عليهم حملة أخرى من المشاة. وكما حدث في المرة السالفة جُمعت الذخائر والأموال من كل الممالك الأوروبية الخاضعة لحكم البابا. وكانت الاغراءات المعروضة على من رغبوا في دخول تلك الحرب الخطرة عظيمة. فلقد عُرِض تأكيد بغفران أفضع الخطايا التي ارتكبتها الصليبيون، كما قُطع وعد بجزء صالح عظيم في السماء لمن يموتون في تلك الحرب، ومن يبقون أحياء كانوا سيحصلون على الكرامة والغنى في ساحة القتال. ومرة أخرى حُشد جيش عظيم، واذ عبروا الحدود دخلوا بوهيميا. تراجعت امامهم جيوش هس انكسارا، وهكذا اجتذبوا الغزاة الى عمق البلاد بحيث جعلوهم يعتقدون أنهم قد أحرزوا النصر. أخيرا وقف جيش بروكوبيوس ثابتا في مكانه، واذ ارتدوا الى العدو تقدموا ليلتحموا معهم في القتال. ولما اكتشف الصليبيون خطأهم ظلوا في معسكرهم ينتظرون الهجوم. وعندما سمع صوت الجيش الزاحف، بل قبل أن يروه، وقع رعب عظيم على الصليبيين. واذا بالامراء والقواد والجنود العاديين يُلقون اسلحتهم ويفرون هاربين في كل اتجاه. وعبثا حاول القاصد الرسولي الذي كان قائدا للغزاة أن يلم شمل الجيش المرتعب الذي شمله الارتباك والفوضى. وعلى رغم الجهود العظيمة التي بذلها إنجرف هو أيضاً مع جموع الهاربين. فكانت الهزيمة ماحقة، ومرة أخرى جمع المنتصرون غنائم وافرة.

وهكذا ففي المرة الثانية اذ خرج جيش عظيم من أقوى دول أوروبا، جيش من الرجال المحاربين المدربين على استخدام الاسلحة في القتال، هربوا من دون أن يضربوا ضربة واحدة أمام الجيش الصغير المدافع عن تلك الدولة الضعيفة. هنا ظهرت قدرة الله. لقد اصاب الغزاة رعباً عظيم فائق الطبيعة. فذاك الذي طرح جيوش فرعون في بحر سوف، والذي هزم جيوش مديان أمام جدعون ورجاله الثلاث مئة، والذي في ليلة واحدة قتل كل رجال جيوش ملك أشور المتكبر، مدّ يده مرة أخرى ليضعف قوة الطغاة الظالمين. « هناك خافوا خوفا ولم يكن خوف لان الله قد بدد عظام محاصرك. أخزيتهم لان الله قد رفضهم » (مزمور ٥٣: ٥).

## اللجوء الى الطرق الدبلوماسية

لما يئس القواد البابويون من الغلبة لجأوا الى الحيلة والسياسة، فعقدوا صلحا بحيث أقروا منح شعب بوهيميا حرية الضمير لقاء ترك حق القرار في يد روما. وقد قدم شعب بوهيميا أربعة شروط للصلح مع روما وهي: حرية الكرازة بالكتاب المقدس، حق كل أعضاء الكنيسة في الخبز والخمر في المائدة السماوية، استخدام اللغة الوطنية في العبادة، واعتزال كل رجال الاكليروس الوظائف والسلطات المدنية، ومتى أرتكب أحدهم جريمة فالسلطة الشرعية للمحاكم المدنية هي التي تحكم على الاكليروس والعلمانيين على حد سواء. وقد « قبلت السلطات البابوية أخيرا شروط اتباع هس الاربعة، ولكن مع حصر حق ايضاحها وتفسيرها بالمجمع، أي بالبابا والامبراطور» (٤١). وعلى هذا الاساس عقدوا المعاهدة فكسبت روما عن طريق النفاق والمخاتلة ما عجزت عن احرازه بالحرب، لانها اذ اقامت نفسها مفسرة لشروط اتباع هس وللكتاب استطاعت تحوير معناها لخدمة أغراضها.

واذ رأت جماعة كبيرة في بوهيميا ان ذلك الاتفاق قد غدر بحرياتهم رفضوا قبول المعاهدة، فحدثت خصومات ووقعت انقسامات أدت الى المنازعات وسفك الدماء بين أبناء الشعب الواحد. وفي ذلك النزاع سقط القائد بروكوبيوس النبيل ومات، وبذلك اندثرت حريات بوهيميا.

وصار سجسموند الذي سلّم هس وجيروم الى الموت ملكا على بوهيميا الآن ، وعلى رغم القسم الذي اخذه على نفسه بأن يحمي حقوق شعب بوهيميا فقد تقدم لنشر البابوية . لكنه لم يريح كثيرا من وراء تعلقه بروما، فلقد عاش حياة التعب المحفوفة بالاطار مدى عشرين عاما . وضاعت جيوشه وابتلعت أمواله وأقفرت خزائنه في حرب طويلة بلا جدوى. والآن بعدما ملك سنة واحدة مات تاركا مملكته على شفا حرب أهلية ، وقد أورث نسله أسما مجللا بوصمة العار.

وطال أمد الفتن والشغب والمنازعات وسفك الدماء. ومرة أخرى غزت جيوش الغرباء بوهيميا، وطال أمد المنازعات والخصومات الداخلية فارتبكت الأمة. والذين بقوا أمناء للإنجيل حلت بهم اضطهادات دامية.

## قيام كنيسة مميزة

ولأن اخوتهم الداخلين في معاهدة مع روما تسببوا بترسيخ ضلالاتها في البلاد، فأولئك الذين ظلوا متمسكين بالايمان القديم نظموا أنفسهم في كنيسة خاصة وأطلقوا على أنفسهم اسم «الاخوة المتحدين». ومع أن هذا التصرف انزل عليهم لعنة كل الطبقات فقد ظلوا ثابتين ولم يتزعزعوا. واذ أرغموا على أن يبحثوا لأنفسهم عن ملجأ في الغابات والكهوف ظلوا مواظبين على اجتماعاتهم لقراءة كلمة الله والاتحاد والاشتراك في العبادة.

وبواسطة رسل اوفدوهم سرا الى بلدان مختلفة علموا أنه يوجد هنا وهناك «جماعات منعزلة تعترف بالحق، جماعة قليلة في هذه المدينة، وأخرى في غيرها، وأن الجميع مستهدفون مثلهم للاضطهاد. كما علموا أنه توجد في جبال الالب كنيسة قديمة مبنية على أساس الكتاب المقدس وتحتج على المفاسد الوثنية المتفشية في روما» (٤٢). فاستقبلوا هذا النبأ بفرح عظيم. وبدأ اتصال بينهم وبين المسيحيين الولدنسيين.

## انتظار بزوغ الفجر

واذ ظل اولئك البوهيميون ثابتين على حق الانجيل انتظروا طوال ليل الاضطهاد، وفي أحلك الساعات، اتجهوا بانظارهم صوب الافق كمن يراقبون الصبح. «لقد وقع نصيبهم في أيام شريرة... ولكنهم ذكروا الأقوال التي كان هس أول من نطق بها ورددتها جيروم، من أنه ينبغي أن يمر قرن كامل قبل أن ييزغ نور النهار. وكانت هذه الأقوال بالنسبة الى التابوريين» (أتباع هس)، بمثابة ما قاله

يوسف للاسباط في بيت العبودية: «أن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا» (٤٣) ( تكوين ٥٠: ٢٥ ). «هذا، وأن الحقبة التي جاءت في ختام القرن الخامس عشر شهدت زيادة عدد كنائس الاخوة، وان يكن ببطء، ومع أنه كانت تأتهم مناوشات ومضاياقات فقد كانوا يتمتعون براحة نسبية. وعندما بدأ القرن السادس عشر بلغت تلك الكنائس في بوهيميا ومورافيا المئتين عدلاً» (٤٤). «وكانت البقية التي بقيت ونجت من الهلاك ومن هول النار والسيف عظيمة ومنتقاة، كما كان من نصيبهم أن يبصروا فجر ذلك اليوم الذي. كان هس قد أنبأ به « (٤٥).